هل للشعر العربي الجديد فلسفة ؟

بقلم رجاء النقاش

كتب صالح جودت ، وهو كاتب معروف بعدائه الشديد لكل ألوان الادب الجديد ، مقالا في مجلة المصور يقول فيه .

« ان الشعر الجديد ليس غاية ، ولكنه وسيلة يتدرج بها أعداء الفكرة العربية لغايه بعيده المنال ، هي هدم مقومات العروبة ... والادب العربي هو أول هذه المقومات » .

فصالح جودت يتهم الشعر الجديد بانه يقدم على فلسفة تعادي القومية العربية والفكرة العربية ، وفي مقالات أخرى يتهم هذا الكاتب الشعر الجديد بأنه « قرمزي » اي انه حركة فنيه تعبر عن الاتجاه الشيوعي . وهذا الاتهام الاخير كثيرا ما ردده الاستاذ العقاد من قبل . فهو يرى الشعر الجديد ، والقصة الجديدة ، والنقد الجديد ، بدون تفرقه بانها الوان من التعبير عن الاتجاه الشيوعي .

وقد كان من الممكن تجاهل مثل هذه التهم التي توجه الى الادب الجديد عموما ، والى الشعر الجديد بوجه خاص ، ذلك لانها تهم تتردد بطريقة ، غير عاميه ، ولغايات غير علميه ، فهي في الحقيقة تصدر عن طبيعة « المنافسة » القائمة في الوسط الادبي ، وعن ذلك الخوف العميق من الجيل الجديد وسيطرته على الحياة الادبية .

ولكننا لو اكتفينا بهذا التفسير وحده لما كان هناك مشكلة أدبية ، ولكانت المعركة الادبية معركة شخصية متروكة للزمن ، فهو وحده القادر على تصفيتها .

ولكنني ألمح وراء هذا السبب « الشخصي » للمعركة سؤالا هاما هو . هل للشعر الجديد فلسفة خاصة به بحيث نستطيع أن نعتبر « الشعراء الجدد » يمثلون مدرسة فكرية مثل المدرسة الوجودية أو غيرها من مدارس الفكر ؟

هل يمكن أن نقول ان الشعر الجديد يساري كما يتهمه أعداؤه ؟ ... وهل يمكن أن نقول انه أول شعر يعبر عن تجربة انسانية حية صادقة كما يقول بعض أنصاره المتطرفين؟

سوف نحتكم أولا الى الواقع الادبي الحي ، لنعرف منه اجابة على هذا السؤال . ولنأخذ مثلا « الفلسفة السياسية » وموقف الشعر الجديد منها .

وفي الفلسفة نجد أن الوطن العربي في الفترة التي ظهر فيها الشعر الجديد أي بعد الحرب الثانية ، كان يعيش في ثلاثة اتجاهات متصارعة . أما الاتجاه الاول وهو أقواها وأبرزها فهو الاتجاه القومي العربي ، وقد التقى هذا الاتجاه في نموه وتطوره بالفكرة الاشتراكية ، وامتزجت فيه فكرة الوحدة العربية بفكرة العدالة الاجتماعية . بحيث اصبح من الممكن أن نسمي هذا الاتجاه باسم « اليسار العربي » .

أما الاتجاه الثاني فهو « اليسار الماركسي » ، وقد كان اليسار الماركسي في الوطن لا يهتم كثيرا بالوحدة العربية ويعتبرها قضيه ثانوية أمام التطبيق العملي للنظرية الشيوعية في أجزاء الوطن العربي المختلفه ، وإمام الارتباط بالكتلة الشيوعية وخاصة في مواقفها الدولية ، باعتبار هذا الارتباط نوعا من المساندة لقضية السلام العالمي ، في نظر اليساريين الماركسيين .

أما الاتجاه الثالث فهو الاتجاه القومي المحلي الانفصالي ، وأبرز ممثليه ودعاته هم القوميون السوريون .

فماذا كان موقف الشعر الجديد من هذه الاتجاهات ؟ الذي حدث هو أننا نجد الشعر الجديد لم يلتزم باتجاه سياسي واحد من هذا الاتجاهات على الاطلاق ، فاليسار العربي له شعراؤه من بين صفوف الشبان المجددين ، فنازك الملائكه ، وأحمد عبد المعطى حجازي ، وصلاح عبد الصبور ، وسلمى الخضراء . والسياب ، كل هؤلاء يعتبرون من أعلام الشعر الجديد . وهم في نفس الوقت من المؤمنين بالقومية العربية ، والمؤمنين بالوحدة العربية ، وقد انعكس الايمان في شعرهم على درجة متفاوتة من الوضوح ، فنحن نجد هذا الاتجاه على غاية من الوضوح عند أحمد حجازي ، الذي يتجاوب تجاوبا فنيا مع معظم الاحداث العربية حتى الاحداث الجزئية ، وكذلك سلمى الخضراء ، حيث نجد أن « الجرح » الاساسي الذي ينبع منه شعرها هو احساسها « بفقد الوطن » ... ان فلسطين هي الفردوس المفقود بالنسبة لها ، ومن خلال هذه التجربة الاساسية تنبع أحاسيسها الخصبة العميقة نحو الفكرة العربية والاتجاه العربي .

ولكننا نجد هذا الاتجاه أكثر تركيزا وأقل امتدادا عند نازك الملائكة وصلاح عبد الصبور، رغم أنه مع ذلك اتجاه عميق وأصيل عند هذين الشاعرين ، والسبب في ذلك يرجع الى أنهما أكثر من غيرهما شاعرين يميلان الى « التأمل الذاتي » ، وهما لهذا السبب ليسا من الشعراء الذين يتألقون في معالجة التجارب العامة والوصول الحاسم السريع الى نقطة الالتقاء الفنية بين هذه التجارب وبين ذواتهم الخاصة .

أما اليسار الماركسي فنجد من بين الشعراء الجدد من يعبرون عنه فنيا ويتحمسون له ، ومن هؤلاء الشعراء : عبد الوهاب البياتي وكاظم جواد . انهم يؤمنون بهذا الاتجاه ويعبرون عنه في شعرهم الجديد تعبيرا واضحا صريحا ،

وينظرون الى الوحدة من زاوية اليسار الماركسي العربي ، فيعتبرونها فضية ثانوية ، ولذلك فهي لا تنعكس على شعرهم الجديد الا في قصائد قليلة محدودة ، مثل قصيدة البياتي عن « يافا » في ديوانه « المجد للاطفال والزيتون » . وبعض قصائد كاظم جواد .

وللقوميين السوريين حركتهم الشعرية المعروفة والتي تمثلها بوضوح جماعة مجلة شعر ، وكما يشعر القوميون العرب أن فلسطين هي جرحهم ، وأن الوطن العربي الكبير هو فردوسهم المفقود الذي يحلمون به ويفكرون في اعادته وجمع أجزائه الممزقة المبعثرة . كذلك يشعر القوميون السوريين أن « فينيقيا » هي فردوسهم المفقود ، وهي ارضهم الموعودة التي يحلمون بها ويحاولون اعادتها الى الواقع الحي ، وهذا الحنين الى فينيقيا أو الى سوريا الكبرى ، بلغة الاصطلاحات الحديثة ، يملأ شعر القوميين السوريين وخاصة أدونيس ، وهو أنضج هؤلاء الشعراء فنيا وأكثرهم تعبيرا عن هذه الفكرة .

وهكذا نجد أن الشعر الجديد حركة فنية لا ترتبط باتجاه واحد من حيث الفلسفة السياسية ، بل يعبر الشعر الجديد عن اتجاهات سياسية مختلفة باختلاف الاتجاهات الموجودة في الواقع العربي .

ومن هنا يكون هذا الاتهام الذي يوجه الى الشعر الجديد بأنه يعبر عن الاتجاه الماركسي ، هو اتهام ساذج لا يستند على أي أساس من الواقع الادبي ، ولا يمكن أن نستنتج هذا الاستنتاج بحال من الاحوال من الدواوين الشعرية العديدة التي أصدرها الشعراء الجدد حتى اليوم .

في الاسواق .

الشعر

كيف نفهمه ونتذوقه

احدث واثمن ما كتب عن النقد الشعري

تاليف اليزيت درو

ترجمه الدكتور محمد ابراهيم الشوش

منشورات مكتبة منيمنه للطباعة والنشر ـ بيروت

ص.ب ٢٢٩٦ ـ هاتف ٢٣٤٤٥٢

ابو القاسم الشابي

علي محمود طه

على أن هذه التهمة يمكن أن تتحول في حساب نظرة عميقة منصفة الى ميزة تميز الشعر الجديد بوجه عام ، فالحقيقة الاساسية في الشعر الجديد انه ـ في معظمه ـ شعر « ملتزم » ، أي أنه يميل الى الارتباط الواضح بقضية اجتماعية ، رغم أن هذه القضية تختلف باختلاف الشعراء وفهمهم للحياة ، وللمجتمع ، والالتزام بقضية اجتماعية ميزة للشعر الجديد ، على عكس الحركة الفنية التي سبقته مباشرة وهي حركة الشعر الرومانسي .

ان باستطاعة الباحثين والنقاد أن يقولوا ان الشعر الرومانسي لم يكن شعرا ملتزما بوجه عام، فابراهيم ناجي مثلا، وهو من كبار الشعراء الرومانسيين كان قليلا ما يتحدث عن تجارب اجتماعية أو وطنية ، وعندما نقرأ دواوينه العديدة ، فاننا لا نجد فيها اهتماما بما يدور في المجتمع ، بقدر ما نجد الاهتمام بما يدور في نفسه واحاسيسه الخاصة .

ولا يغير هذه الحقيقة أن بعض الشعراء الرومانسيين العرب قد اهتموا بقضايا مجتمعهم اهتماما ما ، كما نلاحظ عند أبي القاسم الشابي ، وكما أثبت الناقد الاستاذ انور المعداوي في بحث له عن الشعر القومي عند علي محمود طه .

فقد كان اهتمام الرومانسيين بالمجتمع اهتماما رومانسيا أيضا يقف أمام المعاني المجردة العامة ، وينظر اليها نفس النظرة المثالية التي كان ينظر بها الى الطبيعة والى المرأة . فهم يمجدون الكفاح أو الحرية أو الثورة ، ولكنك لا تلمح بوضوح ذلك المعنى المحدد لتلك القيم المثالية العامة ، لا تعرف اي كفاح وأي حرية وأي ثورة يقصدون . انهم يعيشون في العالم السحري المليء بالضباب الروحي حيث تختلط الاشياء ولا تتحدد .

ولناخذ مثالا يوضح لنا هذه الفكرة ، فأبو القاسم الشابي يحدثنا حديثا مخلصا عميقا عن الشعب ، ويناديه الى الثورة والتمرد ، وصلاح عبد الصبور ، الشاعر الجديد ، يحدثنا أيضا عن الشعب وعن مشاكله في قصائده المختلفة .

ولكننا نلاحظ فرقا ملموسا بين مفهوم « الشعب » عند الشابي ومفهوم الشعب عند صلاح عبد الصبور . فعند

الشاعر الرومانسي نجد معنى عاما مطلقا لا يمكن تحديده ، وعند الثاني نجد معنى محددا ملموسا نكاد نلمسه ونراه في حياتنا اليومية . فهو في قصيدته « لحن » يحدثنا عن علاقة عاطفية فاشلة ، وسر فشلها هو التفاوت الاجتماعي بين العاشق والمعشوقة ، وهو يعبر عن هذا التفاوت في صورة فنية رقيقة راقية ، ولكنه مع ذلك يضع يدنا على مشكلة ملموسة محددة ، نفهمها وندركها من الواقع الاجتماعي المحيط بنا ، وهو عندما يتكلم عن الفلاح لا يحدثنا عن صورة خيالية مشرقة لانسان يعيش بين أحضان الطبيعة ، فاذا بحثنا عنه في الواقع فاننا لا نكاد نراه أو نعرفه ، لانه ليس موجودا الا في خيال الشاعر واحلامه ، بل يحدثنا عن كائن حي يعاني آلاما كبيرة ، ويعيش حياته في عمل دائب مرهق ، ولا يعرف الفلسفة ، ولا المناقشات الفكرية التي يعرفها المثقفون .

وذلك في قصيدته « موت فلاح » . وفي هذه القصيدة يكاد صلاح عبد الصبور يرسم لنا الملامح الواقعية للفلاح ويفرق بينه وبين المثقفين تفرقة محددة واضحة ، كل ذلك دون أن تهتز صوره الشعرية ، أو تفقد اناقتها وجمالها الفني .

وهكذا نرى أن الالتزام عند الشاعر الجديد أوضح وأكثر اقترابا من المشاكل الاجتماعية الموجودة في الحياة بالفعل . . . بصورتها الواقعية ، لا بصورتها الخيالية المبنية على التصور الرومانسي .

بل ان قضية ارتباط الرومانسيين بالمجتمع على هذه الصورة المثالية المجردة تنطبق أيضا على كثير من الشعراء العالميين ، فبيرون وشيللي وهما أكبر شاعرين في أوروبا في القرن التاسع عشر ، والمع اسمين من أسماء المدرسة الرومانسية العالمية . . . هذان الشاعران العظيمان قد احبا الحرية ، واحبا من تصوراه ابطالا لهذه الحرية مثل نابليون ، أو أبطال حركات التحرر القومي الايطالي واليوناني ، الا ان هذا كله كان يدور في نطاق المعاني العامة المثالية للثورة والحرية والشعب والتغيير الاجتماعي .

وهذه المثالية ، والتفكير في مفهومات عامة ، هو الذي يفسر لنا كيف أن شاعرا مناصرا للحرية مثل بيرون ، كان في نفس الوقت « دون جوان » أوروبا كلها في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وكان يحتقر الارستقراطية الانجليزية مثل أي مصلح ثوري حقيقي ، ولكنه كان في نفس الوقت يعيش مثلها مترفا منحلا الى أبعد حدود الترف والانحلال . لقد كانت الحرية والثورة بالنسبة له نوعا من المغامرة الروحية الجمالية ، نوعا من الشوق الى المجهول الجميل الذي يتمثل في فروسية نابليون ، وسحر تحديه للملوك والعروش ، وفي مغامرة الثورة اليونانية وارتباطه كأحد مصادر الوحي والالهام والقيادة .

هذه هي الرومانسية في ميدان الشعر على وجه الخصوص ، أن الالتزام الاجتماعي فيها — اذا وجد — مقيد بقيود عديدة اهمها واخطرها الطابع الخيالي المثالي .

وهكذا يمتاز الشاعر الجديد بارتباطاته بقضية المجتمع ارتباطا واضحا ملموسا يختلف اختلافا كيفيا عن الارتباط الذي حققه الشعراء الرومانسيون في بعض نماذجهم .

وهذه هي الصفة الفكرية الاساسية التي يتميز بها الشعر الجديد، ولكن هذه الصفة لا يمكن بحال من الاحوال ان تكون اتجاها فلسفيا ، لانها تكاد تصبح صفة عامة تملا حياتنا الفكرية وتجاربنا الاجتماعية . ان العلم ، والتغير الاجتماعي

صدر حديثا عن

الاديب وصناعته

اهم مجموعة من احدث الابحاث في فن الكتابة وصناعة الادب . فقد شارك في عقد هذه المنظومة عشرة من الادباء والنقاد البارزين بعشرة ابحاث يتناول كل منها جانبا من جوانب حرفة الكتابة وصناعة الادب .

ترجمة
جبرا ابراهيم جبرا

منشورات مكتبة منيمنة للطباعة والنشر — بيروت
ص.ب ٢٢٩٦ — هاتف ٢٣٤٤٥٢

الكبير الذي يطرأ على حياتنا ، وانتقالنا الحتمي من بيئة زراعية الى بيئة صناعية ، وبزوغ الفكرة الاشتراكية في مجتمعاتنا مهما تفاوت الايمان بها .. كل هذا قد اعطى للمرحلة التي نعيش فيها « طابعا واقعيا » ، فلم نعد نعتمد على الخيال او الخرافة او التسليم الغيبي في تصورنا للحياة في مختلف مجالاتها واتجاهاتها ، لم تعد المرأة سحرا ووهما ، ولم يعد الريف جنة من البساطة والسذاجة والنعيم ، ولم يعد الفقر والغنى حكمين مطلقين ثابتين لا يمكن التحكم فيهما او تغييرهما ... اصبحت كل الاشياء ذات طعم جديد ، ومفهوم جديد نتيجة للتجربة العميقة والخبرة الواسعة اللتين اندفع اليهما مجتمعنا ، وخاصة بين المثقفين والفئات الواعية والتي تغيرت وحملت الثغير الى نطاق ابعد واوسع من حياتها الخاصة .

فالمزاج العام لهذه المرحلة هو المزاج الواقعي . ومن هنا كان الاتجاه العميق الى الارتباط بالحياة في الشعر الجديد .

واذا حاولنا ان نقيس الشعر الجديد بمقياس « الفلسفة الانسانية العامة » بعيدا عن الفلسفة السياسية ، استطعنا ان نقترب من اتجاه « شبه موحد » للشعر الجديد ، فالشعر الجديد في معظمه يمتاز بطابع « تراجيدي » عميق ، وهو مغلف بدرجة من الحزن تكاد تعطيه لونا واضحا من الفلسفة الوجودية .

وبالطبع يخرج عن هذا النطاق تماما الشعراء الذين يميلون او يعبرون عن التيار الماركسي ، فهؤلاء يجنحون الى التفاؤل ، لان التشاؤم او الحزن في نظر عقيدتهم هي ميول انهزامية لا تتفق مع الطابع التقدمي لتلك العقيدة . ولعل هذا الموقف ، الذي يجمد الصراع الانساني ، هو الذي يجعل هذا اللون من الشعر محدود القيمة من الناحية الفنية .

وهذا الحزن نفسه يملأ شعر القوميين السوريين ، ولا املك نفسي من الشعور أمام هذا الحزن بانه حزن زائف لايهز قلبي ولا يسمو الى مستوى الفلسفة الانسانية ، وسبب الحزن في شعر القوميين السوريين هو انهم ايضا اصحاب حلم لم يتحقق ، واصحاب فردوس مفقود ، فهم يحلمون بسوريا الكبرى ، او بفينيقيا ، وهذا الحلم الكبير يقتضيهم قدرا من الحزن والشعور بالمأساة لانه حلم غير متحقق، وان كان فيما اعتقد حلما زائفا لا يمكن ان يولد منه الا مشاعر زائفة .

وهذا اللون الحزين في شعر القوميين يمثله بوضوح شاعرهم الاول ادونيس ، ورغم مواهب هذا الشاعر ورغم اصالته الفنية ، فانني اشعر امام احساسه الحزين بالابتعاد والنفور ، ربما لانني ادرك ما وراءه من افكار مشوهة لا استطيع الايمان او الاقتناع بها بحال من الاحوال ، وهذا ما نحسه حين نقرأه في ديوانه ينادي فينيقيا فيقول :

فينيق في طريقك التفت لنا
فينيق حسن واكثر
فينيق مت ، فينيق مت
فينيق ، ولتبدأ بك الحرائق
لتبدأ الشقائق
لتبدأ الحياة ،
فينيق ، يا رماد ، يا صلاة
نيراننا جامحة كي يولد فينا بطل
مدينة جديدة

هذا مثال واحد من ذلك الحنين العجيب الى حلم زائف هو عودة فينيقيا ، ويا له من حلم خاسر لشاعر موهوب محترف .

اما الحزن الاصيل الطاغي فهو حزن شعراء الاتجاه العربي ، وهؤلاء الشعراء يشكون ويتالمون من جراح عديدة صحيحة صادقة ، فعندما اقرأ نازك الملائكة ادرك تماما انني امام فنانة اصيلة ، ينبع شعرها من مأساة المرأة في بلادنا ، ان الشعور بالحزن عند نازك هو نتيجة الصراع بين الفنانة المنطلقة التي تريد ان ترفرف بجناحيها في تجارب الحياة وافاقها الواسعة وبين المرأة السجينة في حدود وقيود من التقاليد العديدة التي قد يتخطاها العقل والشعور ولكن لا يمكن تخطيها في الواقع الحي الملموس ، وهذا الصراع بين المرأة والفنانة المنطلقة يدور في داخل ميدان واحد هو نفس نازك وروحها . ونتيجة هذا الصراع لا تنتهي الا بتقييد الانطلاق وروحها . ونتيجة هذا الصراع لا تنتهي الا بتقييد يتالق ويشع في شعر نازك .

وفي شعر سلمى الخضراء وهي شاعرة فلسطينية تحس بالجرح الحقيقي ... جرح الوطن المفقود الضائع ، وقد تحول عند هذه الشاعرة الموهوبة الى احساس غامر بالغربة ، احساس بالتعلق في الفضاء بلا غصن يستقر عليه ، ولا ارض تقف فوقها . وقد لاحظت مع كثير من القراء العرب انعطاف سلمى مع حركة مجلة شعر في الفترة الاخيرة ، وارجو لها ان تسلم من الانتماء الى هذه الحركة ، حتى لا تخرج من جراحها واحزانها الحقيقية الى جراح زائفة واحزان زائفة .

هناك ايضا صلاح عبد الصبور واحمد حجازي ، ورغم

المجموعة السيكولوجية

تعالج مشاكل الحياة النفسية على ضوء العلم

***

صدر منها			ق.ل
١ ـ تغلب على الخجل	ترجمة: عبداللطيف شرارة		١٠٠
٢ ـ سيطر على نفسك	« «	«	١٠٠
٣ ـ تغلب على التشاؤم	« «	«	١٠٠
٤ ـ سلطان الارادة	« «	«	١٠٠
٥ ـ مفتاح الحظ	« «	«	١٠٠
٦ ـ سحر الشخصية	« «	«	١٠٠
٧ ـ كيف تكسب المال	« لويس الحاج		١٠٠
٨ ـ تغلب على القلق	« «	«	١٠٠
٩ ـ الايحاء الذاتي	« بهيج شعبان		١٠٠
١٠ ـ تغلب على الخوف	« لويس الحاج		١٠٠
١١ ـ التنويم المغناطيسي	« بهيج شعبان		٢٥٠
١٢ ـ سعادتك بيدك	« «	«	١٥٠
١٣ ـ طريق النجاح	« «	«	١٥٠

الناشر : دار بيروت

الاختلاف الفني بين الشاعرين في طريقة التعبير وفي اسلوب التناول الشعري ، الا انهما يشتركان معا في لون خاص من الحزن ، فهما يعانيان مع ابناء مجتمعهم الام الميلاد الجديد لواقع جديد مختلف عن الماضي كل الاختلاف ، وهما يعيشان في المحيط الهادر لتجارب الحياة ، ولا يعيشان على الشط كما كان الادباء القدماء يفعلون، حيث كان العقاد والحكيم وطه حسين مثلا يأوون الى قلاع محصنة تحميهم من عواصف الحياة وهديرها العنيف ، اما هذان الشاعران فلم يعرفا نعمة الوقوف على الشاطىء ابدا ، بل عاشا دائما وسط الطوفان الكبير من الصراع الاجتماعي ، والصراع النفسي والصراع الانساني ، ولذلك امتلأ شعرهما بمسحة من الحزن الذي يكسو شبابهما المجهد المضني في ميدان التجربة الانسانية .

اما بدر شاكر السياب فهو ايضا حزين ، ويمكننا ان نسمي حزنه « بالحزن الملحمي » ، ذلك لانه اكثر الشعراء الجدد بحثا عن رموز عميقة لحزنه في الاساطير ، وفي الاديان، وفي الواقع الاجتماعي ، وفي التجارب الذاتية . فهو يتحدث عن « المسيح بعد الصلب » فيجد في قصة المسيح رمزا عميقا للحزن ... ويعبر عن هذا الحزن في تلك القصيدة الفذة باعلى صورة من « التحكم الفني » في مشاعره . وهو يعبر عن الحزن مرة اخرى في « مدينة بلا مطر » مستعينا بالرمز البابلي القديم رمز « تموز » ابن الحياة ، وابو الحياة . انه الذي يمنح الارض الخصب . ولكنه في هذه القصيدة منع عطاء عن المدينة التي تنتظره ، ووجد السياب في هذه اللحظة مادة شعرية نادرة خصبة ، وسيطر ايضا على مشاعره الحزينة سيطرة فنية كاملة ، وصاغها لحنا جميلا على لسان العذارى، والاطفال في المدينة التي تنتظر عطاء الاله :

ولكن مرت الاعوام كثرا ما حسبناها
بلا مطر ... ولو قطره
ولا زهر ... ولو زهره
بلا تمر ... كان نخيلنا الجرداء انصاب اقمناها .
لنذبل تحتها ونموت

اما الاطفال فقد وقفوا ينشدون :

ورف ـ كان الف فراشة نثرت على الافق
نشيدهم الصغير : قبور اخوتنا تناديثا
وتبحث عنك ايدينا
لان الخوف ملء قلوبنا ، ورياح اذار
تهز مهودنا فنخاف . والاصوات تدعونا
جياع نحن مرتجفون في الظلمة
ونبحث عن يد في الليل تطعمنا ، تغطينا ،
نشد عيوننا المتلفتات بزندها العاري
ونبحث عنك في الظلماء ، عن ثديين ، عن حلمه
فيا من صدرها الافق الكبير ثديها الغيمة
سمعت نشيجنا ورأيت كيف نموت .. فاسقينا

سلمى الخضراء الجيوسي — **نازك الملائكة**

* ——— *

نموت وانت ـ واسفاه ـ قاسية بلا رحمه
فيا آباءنا ، من يفتدينا ؟ من سيحيينا ؟
ومن سيموت : يولم لحمه فينا ؟ »

وهكذا يتحول الحزن في بوتقة هذا الشاعر العظيم الى « ذرات » من العواطف العديدة الخصبة التي تصدر منه وتعود اليه ، وتفسره ويفسرها في نفس الوقت ... ان الحزن هنا هو الحنين الى شيء ، وهو الطفولة التي تشكو اليتم العظيم ... يتم الام ، وهو حنان العلاقات الانسانية في المحنة والازمة . وحتى الاشياء التي تعودنا ان توحي الينا بمعاني القوة والحياة ، قد فقدت جمالها وبريقها قد فقدت امام الحزن كل ما فيها من بريق وبهجة ، فالذهب ، رمز القوة والاصالة المادية عند البشر ، يتحول الى شيء اخر مختلف:

جياع نحن ... واسفاه ! فارغتان كفاها
وقاسيتتان عيناها
وباردتان كالذهب .

اما الحدائق الجميلة فلم تعد وحيا للجمال او البهجة :

حدائقه الصغيرة امس جعنا فافترسناها ..

وهكذا ياخذ الحزن عند السياب اكثر من صورة فنية مستمدة من مختلف المجالات ، ان السياب يملك «شيكا» له رصيد كبير وخصب في عالم الفن ، انه « شك » الحزن .... تجد له دائما ما يقابله في الدين والتاريخ والاسطورة والواقع .

فالحزن ، او اللمسة الوجودية ، طابع عام يغلف احساس الشاعر الجديد بالحياة ، ولكننا لا نستطيع ايضا ان نجد هذه اللمسة تعبر عن فلسفة جوهرية ، لازمة مرتبطة بالشعر الجديد ، فتلك لمسة يتميز بها الجيل العربي الجديد ، ولا شك ان ظروف المستقبل القريب او البعيد سوف تحمل الى مجتمعنا ظروفا اخرى ونظرة اخرى الى الحياة .

ومن المؤكد ان عناصر الشعر الجديد ومقوماته تجعله صالحا للبقاء ، مع اللمسة الحزينة او اللمسة المتفائلة على السواء .

وهذا يقودنا الى النتيجة الاساسية ، وهي ان الشعر الجديد ليس تعبيرا عن فلسفة سياسية خاصة وليس تعبيرا عن فلسفة انسانية خاصة ، فالفلسفة السياسية او الانسانية

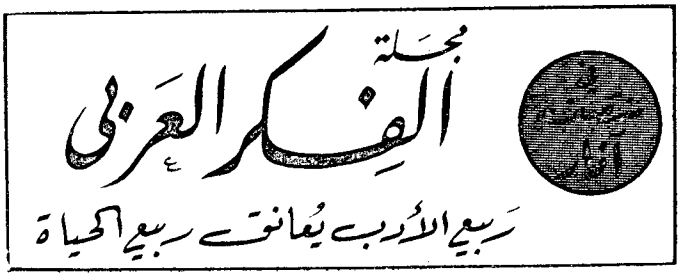

احمد حجازي

صلاح عبد الصبور

* ——————— *

في الشعر الجديد انما تتحدد باتجاه الشاعر وموقفه الخاص من الحياة والمجتمع ، وليس لمجرد انه شاعر جديد ، فقد استوعب الشعر الجديد جميع الاتجاهات السياسية ، ومن الممكن ان يستوعب جميع الاتجاهات الانسانية بين التفاؤل والتشاؤم ، بين النظرة الوجودية الحزينة ، والنظرة الرواقية المتصوفة ، والنظرة الحسية التي تبحث عن اللذة والمتعدة .

ولكن الذي لاشك فيه ان الشعر الجديد يقوم على اساس من الفلسفة الفنية الثابتة . وهذا الجانب الفلسفي الوحيد الذي يمكن ان نستخلصه وننسبه الى الشعر الجديد دون ان يخوننا المنطق او يجانبنا الصواب .

ولعل هذه الفلسفة الفنية هي التي صورت للكثيرين ان الشعر الجديد يصدر عن فلسفة سياسية او انسانية معينة لان هذه الفلسفة نفسها هي التي قربت الشعر الجديد من القلب الانساني ، وجعلت منه مرآة لبعض الجوانب الجوهرية في العصر الذي نعيش فيه ، وفتحت الطريق واسعا امام الجديد لكي يخلق لنفسه فلسفة خاصة به ولكي يعبر عن هذه الفلسفة .

فالشعر الجديد يعتمد على فلسفة فنية ترفض التلخيص وتتجنب التجريد وتميل الى التشخيص والتجسيد ، وهذه الفلسفة الفنية هي التي خرجت بالشعر الجديد من الموقف الذي وقفه الشعر القديم من الحياة ، فالشعر القديم كان يلخص التجربة الانسانية ويقدم خلاصتها الاخيرة ، وخلاصة التجربة الانسانية هي مانسميه بالحكمة ، والحكمة هي الظاهرة الفكرية التي ملأت الشعر العربي القديم ، ورغم انها الوان باهرة عميقة من الحكمة الانسانية تلك التي قدمها لنا الشعر العربي القديم ، الا انها كانت سببا في تجميد حيوية الشعر القديم وانطلاقه الى آفاق اخرى واسعة من التجارب الانسانية الكبيرة ، وهذا ماتجنبه الشاعر الجديد ، فأخذ يصور التجربة نفسها ، ولم يقتنع بنتيجتها كما تعودنا ان نجد في الشعر القديم .

فالشاعر الجديد احمد حجازي لا يقول في بيت او بيتين او « التفاوت الطبقي يؤدي الى فشل الحب » ، وان نفسية المرأة التي ربيت في ظل قيم ارستقراطية لايمكن ان تعيش في حب لانسان اقل منها في الدرجة الاجتماعية وان كان في مستواها النفسي او العقلي او ارقى » ... انه لايقول لنا هذه النتيجة المجردة بل يتأمل الصراع الناشيء بين هذا النوع من النساء ، وهذا النوع من الرجال كصراع انساني عميق ، ويصور هذا الصراع في كل لحظاته ومستوياته في قصيدته الرائعة « الاميرة والفتى الذي يكلم المساء » . وصلاح عبد الصبور يصور نفس التجربة ، ونفس الصراع في قصيدته المليئة بالعمق والتركيز والحنان « لحن » .

وبدر السياب لايقول كما قال شوقي :

والناس صنفان موتى في حياتهم
وآخرون ببطن الارض أحياء

كلا ... انه لا يلجأ الى هذه العملية الحسابية المنطقية، بل يصور لنا صراعا عميقا واسعا ممتدا في قصيدته الناضجة « المسيح بعد الصلب » . فيصور لنا من خلال عرضه الشعري للصراع الانساني كيف ان الانسان الذي يمثل فكرة ومبدأ لايموت حتى لو قتل وصلب ... انه يعيش برؤياه الشعرية التي تستوعب مدى واسعا ، مع المسيح في نضاله ثم معه في محنته ، ثم معه بعد الموت :

ها انا الان عريان في قبري المظلم
كنت بالامس التف كالظن ، كالبرعم
تحت اكفاني الثلج ، يخضل زهر الدم
كنت كالظل بين الدجى والنهار
ثم فجرت نفسي كنوزا فعريتها كالثمار
حين فصلت جيبي قماطا وكمي دثار
حين دفات يوما بلحمي عظام الصغار
حين عريت جرحي ، وضمدت جرحا سواه
حطم السور بيني وبين الاله

وفي جزء اخر مع العمل الفني الفذ يقول السياب :

مت كي يؤكل الخبز باسمي ، لكي يزدعوني مع الموسم
كم حياة سأحيا : ففي كل حفرة
صرت مسقبلا ، صرت بذرة
صرت جيلا من الناس ، في كل قلب رمى
قطرة منه او بعض قطرة .

كل الشعر الغزير ، الذي يتفجر كعشرات النوافر التي ابدعتها الطبيعة ، والتي تفاجئنا من كل مكان حولنا كلما تصورنا ان الارض التي امامنا قد قدمت مالديها ... هذا الشعر ينبع من لحظة واحدة وتجربة لخصها لنا الشاعر القديم بقوله :

الناس صنفان موتى في حياتهم
وآخرون ببطن الارض أحياء

كل هذا الشعر الغزير النابض ينبع من اللحظة التي حنطها شوقي في قوله « واخرون ببطن الارض أحياء » .

وهكذا اتسعت التجربة التي يعبر عنها الشاعر الجديد واقتربت من القلب الانساني ، وفتحت من مدن الروح مدنا جديدة ، وانطلقت في غزوات واسعة ناجحة وعادت بغنائم شعرية كثيرة وعظيمة .

وكما خرجت حركة الشعر الجديد من الحكمة والتلخيص الى وصف التجربة الواسعة ، كذلك خرجت من العموميات الى جزئيات الحياة وتفاصيلها ، وقد جعلت هذه التفاصيل الكثيرة في النماذج الاصيلة من الشعر الجديد طابعا خاصا للشعر الجديد ، وهو طابع يفيض حيوية واصالة .

فعند مايتحدث الشاعر التقليدي عن بور سعيد ومعركتها، فهو لايجد فيها الا « الشهيد » و « الشهيدة » فكل من مات في معركة بور سعيد لايخرج عن كونه شهيدا اذا كان رجلا او شهيدة اذا كان امرأة ، ولا فرق هنا بين الطفل والشاب ، والرجل والعجوز ، ولا فرق بين الطفلة والفتاة الصغيرة والمرأة والعجوز ايضا . وهذا مانجده لدى الشاعر التقليدي علي الجندي في قصيدة له عن معركة بور سعيد :

تلك « الشهيدة » كم سقتكم ماءها

اما الشاعر الجديد فان بور سعيد تصبح عنده عديدا من الصور الجزئية الحية الناضجة ، وهذا مافعله بدر شاكر السياب في قصيدته عن بور سعيد .

ان الشهيدة عنده تتحول الى صورة اخرى تأثيرا وعمقا :

من ايما رئة ؟ من أي قيثار .
تنهل اشعاري .
من غابة النار ؟
ام عويل الصبايا بين احجار
منها تنز المياه السود واللبن المشوي كالقار ؟
من أي احداق طفل فيك تغتصب ؟
من أي خبز وماء فيك ماصلبوا ؟
من ايما شرفة ؟ من ايما دار ؟
تنهل اشعاري ؟

. . . . .
. . . . .

من مائك السهران أوتاري ؟
أم برجك الهادي
يبكي دما من جرح بحار ؟
أطفالك الموتى على المرفا
يبكون في الريح الشماليه
والنور من مصباحه المطفا
قد غار كالمدية
في صدري العاري .

هنا شاعر ينظر الى بور سعيد ويكاد يرسمها لك على خريطتها الجغرافية ، وخريطتها الانسانية ايضا ، فبور سعيد هي « الصبايا » اللائي يتردد عويلهن بين الاحجار ، وهي احداق الاطفال التي تنتزع من الوجوه ... وعويل الصبايا ، واحداق الاطفال المنزوعة ، شيء اخر تماما غير الشهيدات والشهداء ... انها رؤية انسانية عميقة ... انها شعر .

وكذلك « المرفأ المطفأ » و « جرح البحار » و « الاطفال الموتى على المرفأ المطفأ » ... كل هذه الصور تحدد لنا « بور سعيد » الميناء الواقف على شواطيء القناة ، انه تحديد فني لبور سعيد ، ولا شيء غير بور سعيد ... لايحدد لنا صورة تنطبق على مدينة اخرى ، او ميدان اخر للمعركة .

انها صور تحدد لنامدينة بور سعيد ، وميدان المعركة في بور سعيد بالذات .

ذلك هو الشعر الجديد ، وذلك الشيء الثابت المستقر فيه ، فهو يقوم على فلسفة فنية محددة قربته من الوجدان الانساني ، ووسعت ميدان التجربة الانسانية امامه .

اما الفلسفة السياسية او الفلسفة الانسانية فلا يمكن ان نربط الشعر بشيء منهما ابدا ، فذلك متوقف على شخصية الشاعر سواء كان جديدا أم قديما .

رجاء النقاش

القومية والوحدة

في الحركة القومية العربية الحديثة

(الكتاب الثاني من سلسلة الوعي العقائدي)

للاستاذ عبد الله الريماوي

عرض وتحليل ونقد للعقائد : الشيوعية ـ الرأسمالية ـ الاشتراكية الغربية ـ المثالية الغيبية
ومحاولة لتحديد الاسس العقائدية للحركة : القومية ـ الاشتراكية ـ الديمقراطية

٤٨٠ صفحة من القطع الكبير ـ ٧٥٠ قرشا لبنانيا

الكتاب الاول من السلسلة :

المنطق الثوري
للحركة القومية العربية الحديثة

٢٥٠ صفحة من القطع الكبير ـ ٦٠٠ قرش لبناني

***

الناشر « دار المعرفة » بمصر

ويطلب الكتابان من المكتبات ، ومن الوكلاء العموميين

دار الثقافة

ميدان رياض الصلح ـ عمارة الفراوي ـ
ص.ب ٥٤٣ ـ بيروت

ومن مكتبات الدار :

مكتبة دار الثقافة ـ ميدان رياض الصلح ـ تلفون ٢٣٠٥٦١
مكتبة الجامعة ـ شارع بلس ـ عمارة اديسون
تلفون : ٢٩١٩١٥